مأساة الكويت والشعر العربي في بحث للدكتور المناعي

تقرير كتبه: أحمد الحر

في ضمير امتنا العربية المسلمة شروخ وتراجعات تلقي بظلال حزينة مؤلمة على خارطة الواقع العربي الراهن. وما حدث في تلك الليلة السوداء المعتمة من أغسطس عام ١٩٩٠ لم يكن الا حلقة من ذلك المسلسل الدامي حينما قامت القوات العراقية بغزو دولة الكويت.

وكان للشعر العربي الإسلامي دوره في التنديد بهذه الجريمة النكراء وشجب هذا التجاوز غير المسبق واستنكار كل ماحل بأرض الكويت. وانتفضت دولة الأدب وسمعت لألاقلام اصوات كالدفاتر، وتعالت صرخات الشعراء بالحق للهان وعودة الوطن المغتصب.

وعاد الشعر ثانية ليعبر عما يختلج في النفوس من أحاسيس وآلام، وليكون الصدى للبعوث لصرخات البتامى والأرامل. ولقد عكف استاذنا الدكتور سامي المناعي عضو هيئة التدريس بقسم اللغة العربية على متابعة معظم مانشر.

وكتب عن هذه المأساة والفاجعة، وحاول القاء الضوء على تلك الاعمال موضحا من خلال النماذج الشعرية التي استرشد بها الموضوعات والقضايا التي تطرق اليها الشعراء، ثم بين طبيعة هذا الشعر وأهم السمات والخصائص التي تميز بها والقيم الاجتماعية التي تمثلت فيه، وأبرز من خلال بحثه مدى الترابط والتلاحم بين ابناء الأمة الواحدة وتوحد المشاعر ضد هذا التحدي السافر لكل القيم والمبادىء والمثل.

ولاشك ان المآسي والكوارث التي تصيب الأمم هي من أعنف الدوافع لقول الشعر وأكثرها، وأشار الى ذلك من خلال ماحواه الشعر الجاهلي والإسلامي وحروبهم مع الروم أو الفرس مرورا بنكبة الأندلس حتى وصل الى بيان ساحل بفلسطين التي كونت ادبا جديدا سمي بأدب النكبة.

واضاف انه مما ساعد على ازدهار هذا النوع من الشعر ما قامت به وسائل الإعلام من نشر واذاعة هذه الاعمال، وما خرجته المطابع من مؤلفات أدبية في شتى فروع الأدب.

ولقد حركت مأساة الكويت المشاعر وفجرت القرائح، وفي ذلك اشار الدكتور سامي الى ما كتبه عثمان الصالح في المجلة العربية قائلا: «اليوم ومع محنة الكويت اثيرى للتعبير عن استنكارها شعراء ابدعوا فيما قالوا.. واحسنوا فيما نححوا.. وسمعنا عن شعراء ماكانوا يبرزون، وما كانوا في شعرهم معروفين، لان الدواعي والاسباب ماكانت .. ولما وضح السبب انوشا من شعرهم بالعجب».

بكى الشعراء الكويت وما حل بها من دمار، وما احدثه فيها الغزاة البرابرة من تخريب واعمال يندى لها الجبين:

من مزّق الحلم العذب الذي عرفت
واغتال فرحتها والليل معتكر؟
ومن اقام على الاطفال نائحة
في كل بيت بكاء القلب ينتظر؟
كويت.. يالفة بالحب ملعمة
(ودانة) دونها الأمواج تنتكر

وصور هول الصدمة على وجه الشيخ والطفل والمرأة جراء هذا الاعتداء الفاجىء الذي جارهم من اقرب الناس اليهم، ولسان حالهم يقول:

وتلثم ذوي القربى اشد مضاضة
على النفس من وقع الحسام المهند

ورثوا بغداد الرشيد وتحسروا على امجادها وأيامها الخوالي، بغداد الخلافة والحضارة، واستنهضوها كي تنفض عن نفسها غبار السنين:

بغداد ما عادت تمشط شعرها
حتى يراها العاشق المجهول
بغداد يا أغربة مغصوبة

د. سامي المناعي

يثري هواها فارس مشغول

واوضح الدكتور سامي من خلال نماذجه التي استرشد بها ما اصاب الامة من تصدع وتمزق وفرقة وتشتت. وكان ما فيها لم يكن يكفيها:

ودما يسيل على التراب سبددا
وبني العروبة قاتلا وقتيلا
وكان ما قد ضاع لم يك كافيا
وكان ما قد سال كان قليلا

وفي خضم هذه المصير الضائع تاهت قضية المسلمين الاولى وراحت تندب فارسها المصلوب، وهاهو شاعر آخر يقول في ذلك:

لست ادري اي شيء نبتغي
هذه القدس طريق مشرع
اكويت تل ابيب، ام عسى
انه الطهران درب اسرع؟

وفي هذا البحث المتميز بين الباحث الدكتور سامي المناعي، ما اوجدته هذه الازمة من اظهار شعب الخليج وإبراز معدنه الأصيل وفتحت أبواب الخليج بمصراعيها لأهل الكويت، وعرف القاصي والداني مدى تلاحم الخليجيين وترابطهم وتكاتفهم مع اخوانهم، فهاهو الشاعر يتأمل تلك المرأة الباكية فيقول:

كفكفي دمعك اختي
الكويت للكويت.

عموما فقد تناول الباحث الدكتور سامي المناعي وتتبع بعين فاحصة تلك القصائد والأشعار التي خرجت بكلمات تتلظى نارا ونسيل دمارا وتنقض صواعق على رأس المعتدين تصليهم امر العذاب، وتذيقهم صنوف الويلات والآلام وتفضحهم وتكشف مواقفهم وزيفهم امام امتهم واقوالهم وانفسهم والعالم اجمع، وكانت بعض تلك القصائد حزينة هادئة في مظهرها تعكس اليأس من الواقع المر الذي تعيشه الأمة ولكنها سرعان ماتدعو الى التمرد والثورة والاحتجاج والنهوض ليس على الوضع المخزي في الكويت فحسب، بل على الواقع المرير في كل العالم.

وتأتي الأشعار على قدر ما لصاحبها من الموهبة والحصيلة اللغوية والثقافية مشحونة بالعاطفة الصادقة والشعور المتدفق والحس المتوهج، ولأن الحديث كان صدمة عنيفة جعلت المشاعر تغلي في المراجل.

ويضيف الدكتور سامي المناعي بين صفحات بحثه انه تجمع نتيجة لهذه الأزمة كمّ هائل من القصائد والتي احتوتها الصحف اليومية والمجلات والمنابر الاعلامية والدواوين المطبوعة، مما قد يعيق عملية احصائها امام الدارس والباحث يدعوه ذلك الى الاختيار والانتقاء من هذه الانتاجات.